تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين
٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

＊ ＊ ＊ ＊ ＊

الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

الجزء الرابع والعشرون

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾

أما قوله (فلا تطع الكافرين) فالمراد نهيه عن طاعتهم ، ودلت هذه الآية على أن النهى عن الشيء لا يقتضى كون المهى عنه مشتغلا به .

وأما قوله (وجاهدهم به جهاداً كبيراً) فقال بعضهم : المراد بذل الجهد فى الأداء ، والدعاء وقال بعضهم : المراد القتال ، وقال آخرون : كلاهما ، والأقرب الأول لأن السورة مكية ، والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان وإنما قال (جهاداً كبيرا) لأنه لو بعث فى كل قرية نذيراً لوجب على كل نذير مجاهدة قريته ، فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات وكثر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذير كافة القرى (جهاداً كبيرا) جامعاً لكل مجاهدة .

قوله تعالى : ﴿ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجورا ﴾ .

اعلم أن هذا هو ﴿ النوع الرابع من دلائل التوحيد ﴾ وقوله (مرج البحرين) أى خلاهما وأرسلهما ، يقال : مرجت الدابة إذا خليتها ترعى ، وأصل المرج الإرسال والخلط ، ومنه قوله تعالى (فهم فى أمر مريج) سمى الماءين الكبيرين الواسعين بحرين . قال ابن عباس : مرج البحرين ، أى أرسلهما فى مجاريهما كما ترسل الخيل فى المرج وهما يلتقيان ، وقوله (هذا عذاب فرات) والمقصود من الفرات البليغ فى العذوبة حتى يصير إلى الحلاوة ، والأجاج نقيضه ، وأنه سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج ، وجعل من عظيم اقتداره برزخاً حائلا من قدرته ، وههنا سؤالات :

﴿ السؤال الأول ﴾ ما معنى قوله (وحجراً محجوراً) ؟ (الجوب) هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها ، وهى ههنا واقعة على سبيل المجاز ، كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً ، كما قال (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغى كالتعوذ ، وههنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه ، فهو يتعوذ منه وهى من أحسن الاستعارات .

﴿ السؤال الثانى ﴾ لا وجود للبحر العذب ، فكيف ذكره الله تعالى ههنا ؟ لا يقال : هذا مدفوع من وجهين (الأول) أن المراد منه الأودية العظام كالنيل وجيحون (الثانى) لعله جعل فى البحار موضعاً يكون أحد جانبيه عذباً والآخر ملحاً ، لأنا نقول : أما الأول فضعيف لأن هذه الأودية ليس فيها ماء ملح ، والبحار ليس فيها ماء عذب ، فلم يحصل البتة موضع التعجب . وأما